﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ [الحاقة 13 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقال من تمهيد الهلاكِ الجُزئيِّ إلى مشهدِ القيامةِ الكُلِّيِّ

لَمّا بَيَّن اللّٰهُ تعالى أهوالَ القيامة باسْمِها (الحاقَّة)، وضرَبَ أمثلةً مِن عذابِه في الدُّنيا بمَنْ أهلكَهُم بقُدْرَته في لحظات يسيرة، واختَتم بقصَّة الطّوفان الشّاملة التي تُشبه القيامةَ في عُمومِها وسُرْعَتِها وشدَّة وقْعِها؛ انتقل البيانُ القرآني من ذلك إلى التَّصريح بمشهد القيامة نفسها، ففصَّل أمْرَها ابتداءً من النَّفخة، كأنَّه يقول: ذلك كلُّه مقدِّمة وتمهيد، وأمّا الحقيقة الكبرى؛ فهي ما سيقَعُ عند النَّفخة العامَّة ووقوع الواقعة وشدَّة الانكِشاف[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلصُّورِ﴾: الصّور من قولهم: صارَ الرَّجلُ عنقَه إلى الشَّيء يَصوره ويَصيره؛ إذا أمالَهُ، وصَوِرَ: مالَ واعوجَّ، ومنه الصّور - بضَّم الصّادِ -: القَرْنُ؛ لأنَّه معوجٌّ عادة[2]، والصّورُ المذكور في الآيةِ: قَرنٌ فيه أرواح العالَم، فإذا نفخ فيه إسرافيلُ طارت كلُّ روحٍ إلى جسدِها، فلَبِسَتْه، وقال الرّاغب: هو مِثل قرنٍ يُنفخ فيه، فيجعل اللّٰهُ ذلك سببًا لِعَوْدِ الصّوَرِ والأرواح إلى أجسامِها[3]، ويقال: هو جمع صورةٍ، مثل بُسْر جمع بُسْرة، أي: يَنفُخ في صوَرِ الموتى الأرواح[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 352.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صور).
(3) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (صور).
(4) الجوهري، الصحاح: (صور).

2) ﴿فَدُكَّتَا﴾: (دكك) أصلانِ، أحدُهُما: يدلُّ على تطامُن وانسطاح، ومنه الأرضُ الدَّكّاءُ، وهي الأرض العريضة المستوية، كما قال الله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: 98]، والأصل الآخر يقرب من باب الإبدال، فكأنَّ الكافَ فيه قائمةٌ مَقام القاف، يُقالُ: دكَكْت الشَّيء، مثل دَقَقته، وكذلك دكَّكته، ومنه دُكَّ الرَّجُل، فهو مدكوكٌ؛ إذا مَرِض، ويجوز أن يكون هذا من الأوَّل، كأنَّ المرضَ مَدَّه وبَسَطَه، فهو محتملٌ للأمرين جميعًا[1]، ويُقاس عليه غيره، ومنه: دَكَّ الأرْضَ يدُكُّها دكًّا؛ إذا سوّى ارتفاعَها وهُبوطَها للزَّرْع أو غَيره[2]، والدَّكُّ كذلك: كَسْر الحائط والجَبَل[3]، والدَّكُّ في الآية معناهُ: الدَّقُّ الشَّديد الَّذي يترتَّب عليه التَّكسير والتَّفتيت للشَّيء[4].

3) ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: أصلُ (وقع) يدلُّ على سُقوطِ شيءٍ، يُقالُ: وقَعَ الشَّيءُ وُقوعًا، فهو واقِعٌ[5]، والواقِعَةُ لا تُقالُ إلّا في الشِّدَّة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ (وَقَعَ) جاء في العذاب والشَّدائد، نحو: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: 1 - 2][6]، والمرادُ بالواقِعَةِ في الآية: القيامة والطّامَّة الكُبرى[7].

4) ﴿وَاهِيَةٌ﴾: أصلُ (وهى) يدلُّ على استرخاءٍ في الشّيء، يقال: وهَتْ عَزالِيُّ السَّحاب بمائِه، وكلُّ شيءٍ استرخَى رباطُهُ فهو واهٍ، والوهْيُ: الشَّقُّ في الأديم وغيرِه[8]، والواهي: الضَّعيفُ، يُقالُ: وهَى البِناءُ يَهي وهْيًا فهو واهٍ؛ إذا ضَعُف جدًّا، ويُقالُ: كلامٌ واهٍ، أي: ضعيفٌ[9]، وفي المَثَل: (أوْهى مِن بَيْتِ العَنْكَبوتِ)، يُضْرَبُ لِعَدَمِ نُهوضِ الحُجَّةِ، والوَهْيُ: قَريبٌ مِنَ الوَهْنِ، والأكْثَرُ أنَّ الوَهْيَ يوصَفُ به غير العاقِلِ، والوَهْنُ يوصَفُ به النّاسُ، والمقصود بـ ﴿وَاهِيَةٌ﴾ في الآية: مسترخيةٌ ساقطةُ القوى ضعيفةٌ[10].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دكّ).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة: (دكك).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (دكك).
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 76، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 125.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقع).
(6) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (وقع).
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 359.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وهى).
(9) الفراء، معاني القرآن: 3/ 181، والهروي، الغريبين، والراغب، المفردات: (وهى)، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 625، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 265.
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 127، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1555.

5) ﴿أَرْجَآئِهَا﴾: أصلُ (رجى) يدُلُّ على ناحيةِ الشَّيءِ[1]، والرَّجاءُ - ممدودًا -: نَقيضُ اليَأْسِ، والرَّجا - مقصورًا -: ناحية البئر وحافَتاها، وكلُّ ناحيةٍ: رَجًا، يُقالُ منه: أرْجَيْتُ. والرَّجَوانِ: حافَتا البئر[2]، وفي المَثَل: (فُلانٌ لا يُرْمى بِهِ الرَّجَوانِ)[3]، أي: لا يُخْدَعُ، فيُزالُ عن وجْهٍ إلى وجْهٍ[4]، وأمّا المهموزُ؛ فإنَّه يدلُّ على التَّأخير، يُقالُ: أرجأْتُ الشَّيءَ: أخَّرته، والمقصود بالأرجاءِ في الآيةِ: النَّواحي والجوانِبُ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مشاهِدُ السّاعة الكبرى تَخْلَعُ الكونَ، وتَكْشِفُ الخَفايا

تُصَوِّر هذه الآياتُ لحظةَ البَعْثِ، بدءًا من النَّفخة الأولى في "الصّور"؛ إيذانًا بخراب العالَم، وهي نفخةٌ واحدةٌ حاسمَةٌ لا تتكرَّر، يعقُبها حملُ الأرض والجبال، ثُمَّ دكُّهُما دكّةً واحدةً، أي: يُسْحَقان سحقًا عنيفًا، فيزول بهما تماسُكُ الكَوْنِ الأرضيِّ، عندها تقَعُ "الواقعة"، أي: القيامة الكبرى التي لا ريبَ فيها، وتتصدَّع السَّماء، وتتشقَّق حتّى تُصبح واهيةً ضعيفةً مُتَخَلْخِلَة، ثُمَّ يظهر مشهدُ الجلالِ؛ إذ تَقِفُ الملائكةُ على أطراف السَّماء، ويحمل ثمانيةٌ منهم عرشَ الرَّبِّ ﷻ في موقفٍ مهيب، ثُمَّ تُعرض الخلائقُ على اللّهِ تَعالى عرضًا لا خفاء فيه، ويُكشَف كلُّ ما أخفَوه في حياتهم، فلا يندُّ عن علمِ اللّهِ تَعالى شيءٌ، صغيرًا كان أو كبيرًا[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾:

التَّهويل السّابق يُمهِّد لمَشْهَدِ البَعْثِ المروِّع

الفاءُ في ﴿فَإِذَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ حرفٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجو).
(2) الجوهري، الصحاح: (رجو).
(3) أبو جعفر الجذامي، الانتخاب في شرح أدب الكتاب: 2/ 631.
(4) ابن عباد، المحيط في اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (رجو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجو)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 484، وابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 412.
(6) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير: 5/ 421، ونخبة من علماء التفسير، التفسير الميسر، ص: 567.

دالٌّ على الاستئنافِ، والجملةُ بعدها مستأنفةٌ مَسوقةٌ للشُّروعِ في تفصيلِ أحوال الآخرةِ[1]، وفي الفاء أيضًا معنى التَّفريعِ، فيكون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ تفريعًا بيانيًّا على التَّهويل الافتتاحيِّ في الآيات الأولى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، فقد شُحن السّامع بمهابة ذلك الموعود المُبْهَم، وجاء الآن تفصيلُ هذا الوعيدِ في كيفيَّته، وهو عذاب الآخرةِ، فالآيات الأولى روَّعت المشركين بذِكْرِ الهلاك الدُّنيويِّ لقوم ثمودَ وعادٍ وغيرهم، وجاء هذا الموضعُ؛ ليفتَحَ أمامَهُم باب التَّهديد الأعظم، وهو العذابُ الأخرويُّ عند البعث، وابتداء ذلك كلِّه بنفخةِ الصّور التي تُحْيي الموتى، وتدكُّ الكونَ[2].

موقع جملة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾:

قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ بدء تفصيليٌّ لمضمون الحاقَّة نفسِها، فما تقدَّم من الآيات كانَ تهويلًا للحدث، أمّا هنا فقد شَرَع البيان في وصْفِ حقيقة هذا الحدث العظيم، كيف يقَع؟ ومتى؟ وبأيِّ صورة؟ فهذا الانتقالُ من الإجمال إلى التفصيل بعد التَّهويل والتَّخويف، يُخرج (الحاقَّة) من كونها مجرَّدَ كلمَةٍ مُفْزِعَةٍ إلى كونِها واقعةً حقيقيَّةً موصوفةً بأهوالِها المُرَوِّعَة.

الحاقَّة ليست وعدًا غامضًا، بل بداية مشهدٍ كونيٍّ مُزَلْزِلٍ يبتدئ بنفخةٍ واحدة تقلِبُ الوجود

والبدء بالنَّفخ في الصّور هو إشارةٌ إلى أوَّل مشاهدِ القيامَةِ المَحْسوسَةِ الواقِعَةِ؛ إيذانًا بانقلابِ النِّظام الكونيِّ كلِّه، فهذه النَّفخَةُ هي التَّحوُّل الأوَّل من عالَمِ الحَياة إلى عالم البَعْثِ والمُحاسبَةِ.

البَدْءُ بالنَّفخة تمهيدٌ واقعيٌّ لتجسيد حقيقةِ الحاقَّة

فالسّياق يَمْضي في إطْلاعِ السّامع على هول الحاقَّة، لا عن طريق الوصف الذِّهنيِّ فحسبُ، بل عن طريق المَشاهِد المُتَتابعَة التي تُدْنيها مِن العيانِ[3].

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 194.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 124.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 23، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 194.

دلالةُ التَّعبير بـ (إذا):

تحقُّق اليومِ الآخِر وتحقُّق مقدِّماتِه

جاء التَّعبيرُ بـ (إذا) في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ وهي ظرفيَّةٌ شرطيَّةٌ[1]؛ لإفادَةِ تحقُّقِ النَّفْخِ في الصّور؛ إذ إنَّ (إذا) الشَّرطيَّةَ تُباينُ (إنْ) في كونِها مستعمَلةً فيما يُتحقَّقُ وقوعُهُ، ويُقْطَعُ به، فيكون في الآيةِ إخبارٌ عن تحقُّقِ القيامَةِ وتحقُّقِ مقدِّماتِها.

دلالةُ إسنادِ الفِعْلِ ﴿نُفِخَ﴾ إلى المصدر ﴿نَفۡخَةٞ﴾:

توكيدُ هولِ الحدَثِ وفخامَتِه

أُسنِدَ فعل النَّفْخِ مبنيًّا للمفعول ﴿نُفِخَ﴾ إلى المصدر ﴿نَفۡخَةٞ﴾، في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾، وإنَّما حَسُن هذا الإسنادُ؛ لتأكيدِهِ وتقييده بالوحدةِ والمَرَّة، فالقصد ليس مُطْلَقَ النَّفخ، بل نفخةٌ واحدَةٌ قاضيَةٌ فاصلَةٌ، لا تتكرَّر، ولا يُتَوَهَّم معها غيرُها[2].

نكتة تذكيرِ الفِعْلِ في: ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ﴾:

جواز تذكيرِ الفِعْلِ وتأنيثِه مع المُؤَنَّث المجازيِّ

جرى تذكيرُ الفِعْلِ ﴿نُفِخَ﴾، فلم يرد في البيان القرآنيِّ: (فإذا نُفِخَت في الصّور نفخةٌ)، على الرُّغم مِنْ أنَّ لفظَ ﴿نَفۡخَةٞ﴾ مؤنَّثٌ؛ وذلك لأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ، ولوجود الفاصلِ بين الفعلِ ونائبِ الفاعِلِ، ممّا أضعفَ توهُّم مخالفةِ المُطابقَةِ، فحَسُن التَّذكير بيانيًّا[3].

دلالَةُ الحَرْفِ ﴿فِي﴾:

قوَّةُ النَّفخ وشِدَّتُه

﴿فِي﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾، حرفُ جرٍّ دالٌّ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّة، وهو يدلُّ على شدَّة الملابسةِ بين النَّفخِ وبينَ الصّورِ الذي يُنفَخُ فيه، كما أنَّ فيه دلالةً على قوَّة النَّفخ وعُمْقِهِ؛ إذ وقعَ النَّفْخُ فيه لا عِنْدَهُ.

---

(1) الدعّاس، إعراب القرآن: 3/ 375.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 601، وإسماعيل حقي، روح البيان: 10/ 137، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 50.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 601، وإسماعيل حقي، روح البيان: 10/ 137، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 50.

دلالة (أل) في ﴿ٱلصُّورِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلصُّورِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ للعَهْدِ العلميِّ، وهو الصّورُ، أي: القَرْنُ الذي ينفُخُ فيه إسرافيلُ ﷺ، كما جاء في قول النَّبيِّ ﷺ: "كَيْفَ أَنْعَمُ وصاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، واسْتَمَعَ الإذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ، فَيَنْفُخُ؟"[1].

الصّورُ هو القَرْنُ الذي ينفُخُ فيه إسرافيلُ ﷺ

دلالةُ تنكيرِ ﴿نَفۡخَةٞ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿نَفۡخَةٞ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾؛ لإفادةِ مَعنى التَّفخيمِ والتَّهويل، أي: أنَّها نفخةٌ عظيمةٌ لا يُدْرَكُ كُنْهُها.

دلالةُ التَّقييد بالوحدةِ في قوله: ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾:

التَّقييد الوصفيُّ بالوحدة في قوله: ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ يرسِّخ في ذهن السّامع أنَّ تلك النَّفخة واحدةٌ لا ثانيةَ لها، لكنَّها تُزلزل الوجودَ كلَّه، فهي مظهَرٌ من مظاهرِ قُدرة اللهِ تَعالى، فحصل مِن ذِكْرِ ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ تأكيدُ مَعْنى النَّفخ، وتأكيد معنى الوحدة؛ لأنَّ صيغة ﴿نَفۡخَةٞ﴾ في ذاتِها تدلُّ على الوحدة، فالوحدة حاصلةٌ من جهتين.

تـوكـيـدُ عـظـمَـةِ أمـر الـلـه تَـعـالى ونُـفـوذِ كَـلِـمَـتِـه

وليس المراد بوصفها بواحدةٍ أنَّها غيرُ مُتْبَعَةٍ بثانية مُطلقًا؛ إذ قد جاء في آياتٍ أخرى أنَّهما نَفْخَتان، بل المراد أنَّه لا يُحتاجُ في حصول المراد منها إلى تكرُّرها؛ كنايةً عن سرعةِ وقوعِ الواقعة، أي: يوم القيامَةِ، وأمّا ذِكْر كلمة ﴿نَفۡخَةٞ﴾؛ فليَتَأتّى إجراءُ وصفِ الوحدَةِ عليها، فذِكر ﴿نَفۡخَةٞ﴾ تَبَعٌ غيرُ مَسوقٍ لَهُ الكلامُ أصالةً، فتكون هذه النَّفخة هي الأولى - على قولٍ في التَّفسير - وهي المؤذِنةُ بانقراض الدُّنيا، ثُمَّ تقعُ النَّفخة الثّانية التي تكون عند بعث الأمواتِ[2].

نـفـخَـةٌ واحـدَةٌ تَـكْـفـي لإقـامـةِ الـقـيـامَـةِ، فـأمْـرُ الـلـه تَـعـالى لا يُـمـانَـع

(1) رواه أحمد في مسنده، برقم: (11039)، والترمذي في جامعه، برقم: (2431)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (4592).

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 614، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 125.

بلاغة ردِّ العجُزِ على الصَّدْر:

في البيانِ القُرآنيّ إخكامٌ للَّفظِ والمَعْنى

في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ ردُّ العَجُزِ على الصَّدْرِ بين ﴿نُفِخَ﴾ في صدْرِ الآيةِ و﴿نَفۡخَةٞ﴾ في عَجُزِها، وفي هذا الأسلوبِ إحكامٌ للَّفْظِ والمَعْنى، فهي تُحْدِثُ في اللَّفْظِ جَرْسًا حسنًا في السَّمْعِ، وتجْعَلُ السّامِعَ كأنَّهُ قد أُخِذَ مِنَ المُجْمَلِ إلى التَّفصيلِ ومِنَ المُبْهَمِ إلى المبيَّنِ، فيزداد المشهَدُ رَهبةً وحضورًا، وأمّا في المعنى؛ فإنَّ ردَّ العجُزِ على الصَّدْرِ يزيدُهُ تقويَةً وتوكيدًا.

سِرُّ بناء الأفعال في ﴿نُفِخَ﴾ و(حُمِلَت) و(دُكَّتا) لِما لم يُسمَّ فاعِلُهُ:

بناءُ أفعالِ القيامةِ للمفعولِ يُضَخِّم وقْعَها ويُفزِع القلوبَ بِهَوْلِها

في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ جاء أسلوب الإبهام في الفاعل ببناء الأفعال الثَّلاثَةِ ﴿نُفِخَ﴾ و(حُمِلَت) و(دُكَّتا) للمفعولِ؛ لأنَّ المقصود هو تهويلُ الأحداثِ ذاتِها وتعظيمُ أثرِها، لا بيانُ مَن قام بها، فالفعلُ صادِرٌ عَن أمْرِ الله تَعالى، وهذا معلومٌ بالضَّرورة، لكنَّ المعوَّل عليه في المقامِ هو تصويرُ حَجْمِ الفاجِعَةِ وهولِ ما يقَعُ، لا مَن يوقِعُه، وبهذا الأسلوبِ يتضاعف الأثرُ في النَّفس؛ إذ لا يُلهيها فاعلٌ عَن هولِ الفِعْلِ، كما أنَّ ذلك أيضًا أسلوب عربيٌّ شائع في المواضع التي يُراد فيها التَّركيز على النَّتائج لا الأسباب، وعلى الرَّهبة لا التَّفاصيل[1].

علَّةُ وصل جملة: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ بما قبلَها:

الإخبارُ عَن أحوالِ القيامَةِ

وُصِلَ قول الله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ بالجملة قبله، وهي قوله سُبحانَهُ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾؛ لِما بين الجملتين من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ وذلك لاتِّحادهما خبرًا، ولِما بينَهُما من التَّناسُبِ اللَّفْظيِّ والمعنويِّ، فأمّا في اللَّفْظِ؛ فاتِّحاد المسنَدِ وكونُهُ ماضيًا مبنيًّا للمفعولِ، وأمّا في المَعْنى؛ فاشْتِراكُهُما في الإخبار عن أحداث القيامَةِ المَهولةِ العظيمةِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 125، ودرويش، إعراب القرآن: 10/ 195.

دلالةُ التَّعبير بفِعْلِ الحَمْلِ مادَّةً وصيغةً:

تـهـويـلُ شـأنِ الـحَـمْـلِ وتعظيمُهُ

جاءَ التَّعبير بفعلِ الحَمْلِ في قول الله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لِما تُشْعِرُ به المادَّة من الثِّقَلِ والعَظَمة، فهذه الأرض الواسعةُ والجبالُ الرّاسية تُحمَلُ في الآخرةِ بقوَّةٍ قاهرةٍ جبّارةٍ، وبُنِيَ الفعل للمفعول (حُمِلَت)؛ تهويلًا للأمْرِ، وتعظيمًا للآمِرِ بالحَمْلِ، وهو اللهُ تَعالى.

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلْأَرْضُ﴾:

إرادةُ عُمومِ الأرْضِ بالحَمْلِ

(أل) في ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ هي لامُ الجِنسِ المفيدَةُ عمومَ البقاعِ المندرجةِ في لَفْظِها، وهيَ شامِلَةٌ لكلِّ ما يقَعُ عليهِ هَذا اللَّفْظُ، فيدخُلُ في لفظِ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ الأرضونَ السَّبْعُ كُلُّها.

معنى الواو في ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾:

خضوعُ الكَوْنِ كلِّه للقُدْرَةِ الإلهيَّة

الواو في ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ عاطفةٌ الجبالَ على الأرضِ، وهي تدلُّ على مُطلق الجمع والمصاحبة في وقوعِ الحَمْلِ عليهما، فالأرض على سعَتِها، والجبالُ على ثِقَلِها، كلاهما مُسخَّرٌ بقدرة واحدةٍ، وكلاهما تحت سلطانِ الله تعالى وقَهْرِه.

دلالةُ (أل) في (الجبال):

عظمَةُ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وسعَةُ سُلْطانِهِ

(أل) في (الجبال) من قولِ الله ﷻ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ هي لامُ الجنسِ التي تفيدُ عموم الجبالِ، فيدخلُ فيها كلُّ ما يندرجُ تحت هذا اللَّفْظِ من أفرادٍ، وهذا يقتضي أنَّ الجبالَ بما تشتملُ عليه من صِفَةِ الثَّباتِ والصَّلابةِ والضَّخامَةِ، تَحت قدرة اللهِ تَعالى وسُلطانِه.

نُكْتَةُ تقديم ذِكْرِ الأرض على ذِكْرِ الجبالِ:

قُدِّمَ ذِكْرُ الأرضِ على ذِكْرِ الجبالِ في قول الله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ

إبرازُ شِدَّةِ الهَوْلِ وإظهارُ كمالِ القُدْرَةِ

﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لكونِ الأرضِ أشمَلَ، فهي كُلٌّ، والجبالُ جُزْءٌ مِنْ أجزائِها، فيكون عطفُ الجبالِ على الأرضِ من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ تنويهًا بشأنِ الفردِ الخاصِّ، وإبرازًا لشدَّةِ الهَوْلِ، وإظهارًا لتمامِ القُدْرةِ.

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَدُكَّتَا﴾:

مظاهِرُ العظمةِ الإلهيَّة في دكِّ الأرضِ والجبالِ

الفاءُ في ﴿فَدُكَّتَا﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ عاطفةٌ[1]، وهي حرفٌ دالٌّ على التَّرتيبِ مع التَّعقيبِ، فيكون في التَّعبيرِ بها إيماءٌ إلى سُرْعَةِ دكِّهما، وهذا يستلزِمُ الدَّلالةَ على عظمةِ قدرةِ اللهِ تَعالى في دكِّ هذه الأرضِ الواسعةِ والجبالِ الرّاسيَة ذاتِ الأوتادِ في زمنٍ يسيرٍ جدًّا.

نُكْتةُ التَّعبيرِ بفعلِ الدَّكِّ:

تكسيرُ الجبالِ وتَفْتيتُها

اختير فعلُ الدَّكِّ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لِما فيه مِن الدَّلالةِ على الدَّقِّ الشَّديدِ الذي يترتَّب عليه التَّكسيرُ والتَّفتيتُ للشَّيءِ، وهذا ما يُشير إليه قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: 105 - 107].

دلالةُ الإضْمارِ بألَفِ الاثنَينِ في (دُكَّتا):

عَدُّ الأرضِ والجبالِ بمنزلةِ الشَّيئين المتقابِلَيْنِ

أُضْمِرَ ذِكْرُ الأرضِ والجبالِ بألفِ الاثنين في الفعْلِ (دُكَّتا)، من قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾، مع أنَّ الأرضَ مفردٌ والجبالَ جَمْعٌ، فكان مقتضى الظّاهرِ أن يعودَ الضَّميرُ على الجميعِ بـ (فدُكَّتْ)، إلّا أنَّ البيانَ القرآنيَّ آثرَ التَّثنيةَ؛ للإيماءِ إلى أنَّ المقصودَ بالجبالِ كونُها جنسًا واحدًا مع اختلافِ أفرادِها، فعُدَّت الأرضُ والجبالُ بمنزلةِ الشَّيئين المتقابِلَين.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 194.

دلالة تَنكير لفظِ ﴿دَكَّةً﴾:

تفخيمُ الـدَّكِّ وتَهْويلُه

نُكِّر لفظُ ﴿دَكَّةً﴾ من قول الله تَعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لإرادَةِ التَّفخيم والتَّعظيم والتَّهويل، وفي التَّنكير مَعنى النَّوعيَّةِ الآيلِ إلى التَّعظيم، أي: أنَّها نوعٌ مِنَ الدَّكِّ غير مألوفٍ، لبلوغِهِ في العَظَمَة والفخامة مبلغًا مهولًا، فلا يُدْرَكُ كُنْهُها.

بلاغةُ الجِناس في قوله: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً﴾:

في قول الله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً﴾ جناسُ الاشتقاقِ، وفي تَكرارِ اللَّفظ بصيغَتين مُتباينَتَيْنِ إحكامٌ للمَعْنى وتوكيدٌ لَهُ، فهو يُرسِّخُ في الذِّهْنِ والخيالِ صورةَ الدَّكِّ.

غرض التَّنصيص على ﴿وَٰحِدَةً﴾:

دَفْعُ تَوَهُّم غير المَعْنى المُرادِ

وُصِفت الدَّكَّةُ بكونِها واحدةً في قول الله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لتأكيدِ هَوْلِ الدَّكَّة وفخامَتِها؛ إذ إنَّها بلغَت من العَظَمَةِ بحيث لا يُحتاجُ معها إلى تكرارِ الدَّكِّ، كما أنَّ في التَّنصيص على الوحدَةِ دَفْعًا لتوهُّم أنَّ المقصودَ بـ (دكَّة) الجنسُ، وذلك لِما يُرى من سَعَةِ الأرض وصلابةِ الجبالِ وضخامتِها، فيقعُ في الوهْم والخيالِ أنَّ هذا الخَلْقَ العظيمَ لا يُدَكُّ إلّا بدَكّاتٍ كثيرةٍ متتابعةٍ، فنُفيَ ذلك بالتَّنصيص على الوحدة في قوله: ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ تنبيهًا على عظمةِ هذه الدَّكَّة بحيث لا تفتقرُ إلى ثانيةٍ، وهذا يقتضي عِظَمَ قدرة اللهِ تَعالى، فيكون في وصف الدَّكَّة بالواحدةِ تنبيهٌ على التَّعجيب من تأثُّر جميعِ الأجسادِ بنفخةٍ واحدة دونَ تكرارٍ[1].

سِرُّ مجيءِ الدَّكِّ بعدَ النَّفْخِ:

النَّفخة إشعارٌ بانقِضاء الدُّنيا، والـدَّكُّ مـؤذِنٌ بحياةٍ جديدَةٍ

جيءَ بالدَّكِّ بعدَ النَّفْخِ في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لِما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 124 - 125.

تُشعِرُ به النَّفخةُ من انقضاءِ نظامِ الدُّنيا، بخلافِ الدَّكِّ فهو مُؤذِنٌ بانقلابٍ آخرَ مُمَهِّدٍ لحياةٍ جديدةٍ[1]، فلم تُغْنِ إحداهما عن الأُخرى.

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾:

بيانُ تَسَلْسُلِ أحداثِ القيامَةِ وتَرابُطِها

الفاءُ في ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرْطِ، فالنَّفْخُ في الصّور، وحملُ الأرض والجبالِ ودَكُّهما، ليست أحداثًا منفصلةً، بل مقدِّماتٌ وشروطٌ لوقوعِ القيامَةِ، وفي الفاءِ أيضًا معنى التَّعقيبِ، فتكون القيامةُ أمرًا حتميًّا يعقُبُ تلكَ الأهوال فورًا مِنْ غير مهلةٍ.

مَوْقِعُ جملَةِ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾:

وقوعُ القيامةِ ليسَ مُفاجئًا بل هو تتويجٌ مهولٌ لمقدِّماتٍ عظيمةٍ

جملة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ مؤكِّدة لِما سبَقَ مِن أهوالِ النَّفخ والدَّكِّ، والتَّنوين في (يومئذٍ) عوَضٌ عَن جملةٍ، أي: في اليوم الذي نُفخ فيه في الصّور، ودُكَّت فيه الأرض والجبال دكَّة واحدة، عندئذٍ وقعت الواقعةُ، فليس في الكلام تكرارٌ بلا طائلٍ، بل هو توكيدٌ وتفصيلٌ لمشهد القيامة بأبعاده الزَّمنيَّة الدَّقيقة، ثُمَّ إنَّ وقوعَ الواقعةِ بَعْدَ كلِّ ما سبقَ، يُؤَكِّد أنَّ ذلك اليوم هو القيامةُ حقًّا، وقد جيءَ بلَفْظِ ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾؛ لتُناسِبَ الهَوْلَ والانهيار الكونيَّ، كما أنَّ فيه تأكيدًا لفظيًّا بمرادفِ المؤكَّد، وهو ما تقدَّم من أهوال، على طريقة المبالغة في تصوير الحدث العظيم[2].

غرضُ التَّقييد بالظَّرْفِ (يومئذٍ):

اجتماعُ نتائجِ الأحداثِ في يومٍ واحدٍ

في التَّقييد بالظَّرْفِ (يومئذٍ) من قول اللّه تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ زيادةٌ في إحكام المعنى، وإبرازٌ للتَّرابُطِ بين المقدِّمات - وهي النَّفْخُ والحَمْلُ والدَّكُّ - وبين النَّتيجة، وهي وقوع الواقعةِ، أي القيامَة، وفي التَّقييد بالظَّرفِ أيضًا إيماءٌ إلى مَعنى المباغَتَة؛ إذ الأحداث تَجْتَمع نتائجُها في يومٍ واحدٍ تُطْوى فيه الدُّنيا وما فيها.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 125.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 126.

بلاغةُ الجناس في ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾:

الإيـمـاءُ إلى حتميَّة القيامَةِ وكمالِ تحَقُّقها

في قول الله تعالى: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ جناسُ الاشتقاق، وهو يُحْدِثُ جرْسًا قويًّا يقرَعُ السَّمعَ بوَقْعِ الحدَثِ، فيتطابَقُ اللَّفْظُ مع المعنى، وفيه إشارةٌ إلى حتميَّةِ هذا الوقوعِ وكمالِ تحقُّقِه.

بلاغَةُ استعمال الماضي في التَّعبير عن أمْرٍ مستقبليٍّ:

تهويلُ القيامَةِ بالتَّعبير عنها بصيغة المـاضِي يـؤكِّـد حتميَّةَ وقوعِها

لم يُؤتَ بفعلِ الوقوعِ بصيغة المُسْتَقْبَل، في قوله تعالى: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، مع أنَّ وُقوعَها لم يحصُلْ بعدُ، بل جيءَ به بصيغَةِ المُضيِّ؛ تنبيهًا على تحقُّقِ الوُقوعِ وثُبوتِه، حتّى كأنَّه أمرٌ قَد مَضى ووقَع وانتهى، وهذا مِن أبلغ أساليبِ التَّهويل والتَّأكيد في التَّعبير عن أهوال القيامة، وكأنَّ الله تعالى يقول: ما كنتم تُتَوَعَّدون به، يَقَعُ لا محالة، فتَهَيَّؤوا له[1].

سرُّ العدول عن الضَّمير إلى الاسم الظاهر:

إعـادةُ تسميَةِ يـومِ الـقـيـامَةِ باسمٍ جديد بدلَ الضَّمير، تكثيفٌ للتَّهويل وتَغديدٌ لأوجُهِ الفزَعِ

لفظُ الواقعةِ في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ هو مرادفٌ جزئيًّا لِما سبق من أوصافها في السّورة: الحاقَّة والقارعة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (وقَعَت)، أيْ هيَ، ويكون الضَّميرُ راجعًا إلى الحاقَّة أو القارعةِ المذكورتَيْنِ قبلُ، لكن عُدل إلى إظهار الاسْم مكانَ الضَّمير لغايةٍ بلاغيَّة، وهي زيادة التَّهويل والتَّخويف، والإشعار بعِظَم ما تحويه هذه الواقعة من مشاهدَ وأهوالٍ، يُستدلُّ عليها بما في دلالة الاشتقاقِ من معنى السُّقوط والدَّكِّ والاضطراب المفزع[2]، كما أنَّ الإضمارَ قد يوهِمُ خلافَ المقصود؛ إذ لَفْظا الحاقَّة والقارعة قد بَعُدَ العَهْدُ بذِكْرِهما، فقد يُتوهَّمُ - حالَ الإضمارِ - أنَّ الضَّمير يرجِعُ إلى أقربِ مذكورٍ يصلُحُ لعَوْدِ الضَّمير إليه، وهو لفظُ الأرض في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾، فلا جَرَمَ كان الإظهارُ أنسبَ للمعنى وأبعدَ عن اللَّبْس.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 126.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 126.

نوعُ (أل) في ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ ودلالَتُها:

كمالُ أوصافِ القيامَةِ

(أل) في ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ للعَهْدِ العلميِّ، والمرادُ بها يوم القيامَةِ، لا كلُّ شيءٍ يقَعُ، ويجوزُ أن تكون (أل) دالَّةً على الكمالِ، أي: هي الأمرُ الكاملُ في الوقوعِ، ولا تنافيَ بين المَعنَيَين، فإنَّ الواقعةَ المعروفةَ هي الكاملةُ في اتِّصافِها بالوقوعِ.

موقِعُ جملةِ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ في النَّظْمِ:

تأخيرِ ذِكْرِ انْشِقاقِ السَّماءِ لتَتَقَدَّمَهُ مشاهِدُ العظمَةِ، يزيد مِن فزَعِ السّامع وخوفِهِ

قولُه تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ﴾ يجوز أن يكون معطوفًا على جملة: ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، فيكون مشمولًا في شرط (إذا) الواقعِ في أوَّل السَّرد التَّصويريِّ للأهوال، فتكون هذه الجملة جزءًا من سلسلةِ الأحداث المتتابعَةِ التي تقَعُ حينَ النَّفخة الأولى أو الثّانية على أحد التَّفسيرين، وقد أُخِّر عطفُها إلى هذا الموضع لفائدة بلاغيَّةٍ، وهي التَّمهيد لذِكْرِ ما يتَّصل بانشقاقِ السَّماء مِن مشهَدٍ عظيمٍ آخَرَ، وهوَ إحاطَةُ الملائكةِ بأرجاءِ السَّماء، وحملهُم لعَرْشِ الرَّحمن، ممّا يُعَمِّق أثرَ الرَّهبة، ويوسِّع دائرةَ الهَوْلِ في تصويرِ القيامَةِ[1].

غرضُ التَّعبيرِ بالانشقاقِ مادَّةً وصيغةً:

تصدُّعِ السَّماء وانْفِطارُها بعدَ شِدَّة تماسُكِها

جاءَ التَّعبيرُ بمادَّةِ الانشقاقِ في قول الله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ﴾؛ لما تدلُّ عليه المادَّةُ مِنَ التَّصدُّعِ والتَّمزُّقِ والتَّفطُّر بعد تماسُكٍ عظيمٍ وارتباطٍ وثيقٍ، وعُبِّر عن الانشقاقِ بصيغةِ الانفعالِ، وهي من صيَغِ المطاوعَةِ المفيدةِ التَّأثُّرَ بفعلٍ قبلها؛ للدَّلالةِ على أنَّه قد وقعَ عليه الشَّقُّ، فانشقَّت، وأنَّ هذا الشَّقَّ صادرٌ من قوَّةٍ عظيمةٍ وقدرةٍ مطلقةٍ، وهي القدرة الإلهيَّةُ والقوَّة الرَّبّانيَّةُ.

وجيءَ بالفعل ماضيًا؛ لإفادَةِ تحقُّقِ وقوعِهِ، فهو في الجَزْمِ بهِ بمنزلةِ ما هو واقعٌ وحاصلٌ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 126.

دلالة القيدِ الزَّمنيّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

القَيْدُ الزَّمنيُّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في وصف السَّماء بالوَهْي وتغيُّر حالها، في قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يدلُّ على أنَّ الضعف والانفطار لم يكونا وصفًا دائمًا للسَّماء، بل طَرَأا عليها يوم القيامة بعد أن كانَت مُحْكَمَة البناء، شديدةَ التَّماسك، كما وصَفَها اللهُ ﷻ في مواضعَ أُخَر بأنَّها ذاتُ حُبُكٍ، ففي هذا اليوم تتفكَّك أجزاؤُها، وتَتلاشى قوَّتها، فكأنَّها تُفْتَح، وتُطْرَق، وتصبح قابلَةً للنَّفاذ والاختراق بعد أن كانت منيعةً مُحْكَمَةً، وهو تصويرٌ لهَوْلِ ما يقَعُ في ذلك اليوم مِن انهيارِ نِظام الكَوْنِ[1].

السَّماء يوم القيامَةِ تَضْعُفُ بعدَ متانَتِها؛ إيذانًا بزوالِ نِظام العالَمِ بأمْرِ اللهِ تَعالى

سرُّ التَّعبير بـ ﴿وَاهِيَةٌ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عُبِّر عن السَّماء بالوَهْي في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ دون الوَهن؛ لأنَّ الأكثَرَ الغالبَ استعمالُ الوَهْي مَعَ ما لا يعقِلُ، بخلافِ الوَهن فإنَّه يوصَفُ به ما يَعْقِلُ ومتعلِّقاتُه، والأنسبُ في السَّماءِ - وهي بناءٌ مُحْكَمٌ عظيمٌ - وصفُها بالوهْي دون الوهن.

الغالِبُ في وصْفِ الوَهْي تَعَلُّقه بِما لا يَعْقِلُ>

وصيغةُ فاعلة في لفظِ ﴿وَاهِيَةٌ﴾ مُشعِرَةٌ بأنَّ وصْفَ الوَهْي طارئٌ على السَّماء، وليس أصليًّا فيها.

دلالة الواوِ في ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾:

الواوُ في ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ من قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ استئنافيَّةٌ، والجملةُ بعدها مستأنَفةٌ، لا محلَّ لها من الإعراب[2]، جيءَ بها لتصوير مشْهَدٍ جديدٍ مِنْ مشاهدِ الآخرَةِ، ويجوزُ أن تكون الواوُ حاليَّةً[3]، والمعنى: أنَّ السماء انشقَّت، والحالُ أنَّ الملائكةَ على

تصويرُ مَشْهَدٍ جديدٍ مِن مشاهِدِ يومِ القيامَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 127.
(2) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 375.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 29/ 64.

أرجائها وجوانبِها، فيكون دالًّا على انشقاق السَّماءِ وانفطارها من الدّاخِلِ، وإحاطةِ الملائكةِ على جوانبِها من الخارِجِ.

دلالة لفظِ (المَلَك) ونُكْتَةُ إيراده مفردًا:

التَّعبير بالمفرد في موضعِ الجَمْعِ يصوِّر جموعَ الملائكة في هيبةٍ وجلالٍ يليقانِ بمقام العَرْضِ الإلهيّ

عبَّر بلفظ (المَلَك) مفردًا قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾، والمراد: جنس الملائكة، فهو اسم مفرد يُراد به العموم، أي: جماعات الملائكة المحيطون بأطراف السَّماء في ذلك اليوم المهيب، ويفيد هذا الأسلوبُ الاستغراقَ في تصوير المشهد وتهييب الأمر؛ إذْ جاءَ التَّعبير بالمفرد لإفادة الجمع مع التَّخفيف اللَّفظيِّ، وهذا أبلَغُ من التَّعبير هنا بلفظ: (الملائكة)؛ لأنَّ المفردَ حين يُقْصَدُ به الجِنْس؛ يُفهَم منه استغراقُ أفراد الجنس بأصرح الوجوهِ وأخفِّها، كما تقول: (ما من مَلَكٍ إلّا وهو خاضِعٌ لأمر ربِّه)، وهذا أبلغُ من جَمْعِه[1].

دلالة التَّعبير بحرف الجرِّ ﴿عَلَىٰٓ﴾:

إبـــرازُ هيمنَةِ المَـــلائـــكَـــةِ وإحاطَتِهم

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبير بحرف الجرِّ ﴿عَلَىٰٓ﴾، في قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾؛ لِما تُفيده ﴿عَلَىٰٓ﴾ من مَعنى الاستعلاء، فيكون في قوله سُبحانَهُ: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ إبرازٌ للسّيادَةِ والهيمنةِ والإحاطة، وفيه دلالةٌ على أنَّ الملائكةَ قد غطَّوا جوانِبَ السَّماءِ تغطيةً متمكِّنةً.

بيانُ مرجِعِ الضَّمير في ﴿أَرۡجَآئِهَاۚ﴾:

تـحـقـيرُ شـأن الـسَّـمـاء في الآخـرةِ مُقارَنَةً بعَظَمَتِها في الدُّنيا

الضَّمير في ﴿أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ يعودُ إلى السَّماءِ المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ﴾، وفي التَّعبير عن السَّماءِ بالإضمارِ جريٌ على الأصْلِ؛ لتقدُّم ذِكْرِها، وليتناسَبَ اللَّفْظُ مَع المَعْنى؛ إذ السَّماءُ صارت واهيةً؛ فلم يكُن من المناسبِ التَّعبير عنها بالاسم الصَّريح، وجاء ذلك تحقيرًا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 601، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 240، وأبو حيان، البحر: 10/ 259، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 127.

لشأنِها يوم القيامةِ مقارنةً مع عظمتِها في الدُّنيا، فالمقامُ ليس مقامَ إبرازٍ وإظهارٍ، وإنَّما مقامُ إظهارُ هيمَنَةِ الملائكةِ على أرجائِها.

معنى الواوِ في ﴿وَيَحْمِلُ﴾ ودلالَتُها:

التَّرقّي في إظهار العظمَةِ الرَّبّانيَّة

الواوُ في ﴿وَيَحْمِلُ﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ عاطفةٌ[1]، وفي هذا العطفِ انتقالٌ مِنَ المشهدِ العامِّ إلى المشهَدِ الأعظَمِ، ففي العطفِ تَرَقٍّ في إبرازِ العظمَةِ الإلهيَّةِ.

دلالة التَّعبير بِالحَمْلِ مادَّةً وصيغةً:

جلالُ العَرْشِ الإلهيِّ وجلالُ حامِليهِ

جاءَ التَّعبير بالحَمْلِ في قول الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾؛ لِما تُشْعِرُ به مادَّةُ الحَمْلِ مِنَ الثِّقل والعظَمَةِ، فالحَمْلُ مناسبٌ لجلالِ العرشِ - وهو أعظمُ المخلوقاتِ - وملائمٌ أيضًا لجلالِ الحاملينَ.

وفي التَّعبير بالفعلِ المضارعِ (يَحْمِلُ) تصويرٌ للمشْهَدِ الأُخرويِّ في صورةِ الحاصلِ وقتَ الخطابِ، وهو أشدُّ في ترهيبِ المتلقّي.

نوع الإضافةِ في ﴿عَرْشَ رَبِّكَ﴾:

نسبة العَرْشِ إلى الله تَعالى تعظيمٌ لشأنه وتذكيرٌ بجلال ربِّهِ سُبحانَهُ

إضافة العرش في قوله تعالى: ﴿عَرْشَ رَبِّكَ﴾ هي إضافة تشريفٍ وتكريم وتعظيم، لا إضافة ملكٍ مجرَّدة، فإنَّ العرشَ أعظم المخلوقات حجمًا وضخامَةً؛ فناسب أن يُضاف إلى الله تعالى لتأكيد علوِّ رُتْبَتِه وسُموِّ مكانته، كما في إضافة (بيت الله) و(ناقة الله) و(روح الله)، فكلها إضافاتٌ تشريفيَّة تهدف لإبراز شرف المضافِ ومكانته بانتسابِهِ إلى الله ﷻ، لا أنَّ ذلك المضافَ جزءٌ مِن ذاته أو قائمٌ به[2].

نكتة التَّعبير بالرُّبوبيَّة، وسِرُّ الإضافةِ إلى كافِ الخِطاب:

الجَمْعُ بينَ خوف الموقِفِ ورجاءِ العَفْوِ مِنَ الرَّبِّ الكريمِ

آثر النَّظمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالرُّبوبيَّةِ في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 29/ 64.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 128.

عَرْشَ رَبِّكَ﴾؛ لتذكير العبادِ بأنَّ الرَّبَّ العظيمَ الذي كان يرعى العبادَ ويُربّيهم بنِعَمِهِ هو نفسُهُ الذي يُقيمُ القيامَةَ؛ ممّا يجمَعُ بين الخَوْفِ والرَّجاءِ: خوفِ المَوْقِفِ، ورجاءِ العفوِ من الرَّبِّ الكريمِ.

وإضافةُ اسم الرَّبِّ إلى ضمير الخطابِ فيه تشريفٌ للمضافِ إليه، وهو المخاطَبُ، أي النَّبيُّ ﷺ، وإذا حملنا ضمير الخطاب على إرادَةِ العمومِ لكلِّ من يتأتّى خطابُهُ، فإنَّ في الإضافةِ إدخالًا للرَّهبةِ على المتلقّي.

دلالة التَّعلُّق الظَّرفيّ في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾:

علـوُّ العـرشِ فـوقَ الملائكـةِ حـملٌ وهيبَـةٌ، تشهد بعظمة مَن استوى عليهِ

الظَّرف ﴿فَوْقَهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ متعلِّق بالفعل (يحمل)، وذِكْره هنا ليس لمجرَّد البيان، بل للتَّأكيد على علوِّ العرش وسموِّه، فالمعنى: أنَّ حمَلةَ العرش يحملونه، وهو عالٍ فوقهم علوًّا حقيقيًّا، وفي هذا تصويرٌ لعظمَةِ العَرْشِ وعُلوِّ قدره ومكانته فوقَ أعلى المخلوقاتِ مكانًا، وهُمُ الملائكَةُ[1].

وَجْهُ الانتقالِ إلى ذِكْرِ حملَةِ العَرْشِ وتناسُقُ السّياق البلاغيّ:

تـدرُّجُ السّياق إلى ذِكْرِ العَرْشِ وحمَلَتِه يَرْسُمُ عظمةَ الموقفِ بتَرْتيبٍ مهيبٍ

يُلحَظ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ أنَّ الدّاعيَ إلى ذِكر حملةِ العرْشِ إجمالًا في هذا الموضع، إنَّما هو الانتقالُ التَّدريجيُّ مِنَ الحديثِ عن الملائكة المُحيطينَ بأرجاءِ السَّماء إلى ذكر العَرْشِ نفسِه؛ ليكون سياقُ العظمة متدَرِّجًا من السَّماء إلى الملائكة، ثُمَّ إلى العرشِ، ثُمَّ إلى حَمَلَته، دون أن يَبْدوَ ذِكرُ العَرْشِ مقتضبًا أو منفصلًا عن السّياق، وهذا يُبرز ترتيبًا بلاغيًّا بالغَ الإحكام؛ إذ يُستكمَل مشهد الهَيْبَةِ والرَّهبة في ذلك اليوم من جميعِ جهاتِهِ[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 128.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 128.

نكتةُ إبهامِ التَّمييز في ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾:

في الإبــهــامِ تفخيمٌ للمَعْنى وتوسيعٌ لهُ

أُبْهِمَ تمييزُ العدد ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾؛ للإبقاء على إبهامٍ يليقُ بجلالِ المقامِ وعظمةِ القُدرة الإلهيَّةِ، كما أنَّ في الإبهامِ توسيعًا للمَعْنى بحيث يذهبُ الذِّهْنُ كُلَّ مذهبٍ في تصوُّرِ التَّمييز، ولذا اختلف العلماءُ في المعدودِ ههنا، فقال جماعةٌ: إنَّهم ثمانيةٌ مِنَ الملائكةِ، وقال آخرون: ثمانيةُ صفوفٍ مِنْهم، وقال بعضُ أهل العلم: ثمانيةُ أجزاءٍ منهم لا يَعْلَمُ عددَهُم إلّا اللّهُ تَعالى[1].

كما أنَّ في حذفِ التَّمييزِ إبقاءً على التَّناسُبِ الصَّوتيِّ لفواصلِ الآي قبلَها وبعدها، فإنَّ الآية قبلها هي قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، والآيةَ بعدها قولُهُ سُبحانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

موقع جملة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ في السّياق البيانيّ للآيات:

عــرْضُ الـنّـاس على اللهِ تَعالى يــومَ الـقـيـامَـةِ مـشـهَـدٌ مِـن أعـظـمِ مشاهِدِ الواقِعَةِ

الجملةُ في قول اللّهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ يَحْتَمِل أن تكون مستأنفةً؛ لبيانِ ما يقع يوم الواقعة من الأهوال، أو تكون بيانًا وتفسيرًا لجملة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، أي: أنَّ وقوع الواقعة من جملة ما فيهِ عرضُ النّاس على اللّهِ تَعالى، ويجوزُ أن تكونَ بدلَ اشتمالٍ من الجملة السّابقة؛ لأنَّ عرض النّاس يتَضَمَّنه وقوعُ الواقعة، وهو مِن نتائجِها ولوازِمِها[2].

دلالةُ الظَّرف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

إحضارُ المَشْهَدِ العَظيم في ذِهْنِ المُتَلَقّي

في التَّعبير بالظَّرفِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من قول الله سُبحانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ إحضارٌ للموقفِ العظيم والمشهَدِ العصيبِ ابتداءً في ذهن السّامِعِ، ولذا وردَ مقدَّمًا، كما أنَّ فيه ربطًا

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 331.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 129.

لما يُذكر بعدُ من العرضِ على اللهِ تَعالى بما ذُكِرَ قبلُ من النَّفْخِ في الصّور وحمل الأرض والجبال ودكِّها، وحمل العرشِ، وكونِ الملائكةِ على أرجاءِ السَّماءِ.

دلالةُ الخطابِ في ﴿تُعْرَضُونَ﴾:

عــرضُ جميعِ العبادِ على اللهِ تَعالى في الآخرَةِ

الفعلُ في ﴿تُعْرَضُونَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ خطابٌ جمعيٌّ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ عرضَ العبادِ وأعمالهم على الله تَعالى يَعمُّ جميعَهُم لا يخرج عن ذلك أحدٌ.

دلالة (العرض) في سياق الآياتِ:

العرضُ الكامِل على اللهِ تَعالى يومَ القيامَةِ إيذانٌ بالعدالَةِ التّامَّة والمُساءلَةِ الدَّقيقة

المراد بقول الله تعالى: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ هو العرضُ على الله تعالى يوم القيامة، والمعنى الأصليُّ للعرض هو إمرار الأشياء على مَن ينظُر فيها ويَفْحَصُها، كما يُعرض الجيش على القائد، أو تُعرض السِّلعة على المشتري، وهنا استُعمِل على سبيل الكنايةِ عن المحاسبة؛ لأنَّها لازم من لوازم العرض، مع احتمالِ بقاء المعنى الصَّريح للعَرْض أيضًا، أي: أنَّ العباد يُعرضون حقيقةً على ربِّهم ليراهُم، ويُحاسِبَهم[1].

إيثار التَّعبير بالفعل ﴿تَخْفَىٰ﴾ مادَّةً وصيغةً:

سَعَةُ عِلْمِ الله تعالى بالظّاهِرِ والخَفيّات

آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبير بالفعل ﴿تَخْفَىٰ﴾، في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾؛ لما تدلُّ عليه مادَّتُهُ مِنَ الاستتارِ، والخفاءُ يُستعمَلُ عادةً فيما دقَّ وغَمُضَ، فيكون في نفي استتارِ الغامضِ إيذانٌ لنفي استتارِ ما هوَ أعلى مِنْهُ في الوضوحِ وأظهَرُ.

واختيرَ التَّعبيرُ بالفعل المضارع ﴿تَخْفَىٰ﴾؛ لدلالتِهِ على الاستمرار، فيكون النَّفيُ مسلَّطًا عليه، والمقصودُ: دوامُ نفي الخفاءِ واستمرارُهُ، لا نفي الدَّوامِ والاستمرارِ؛ إذ لو كان المرادُ نفيَ دوامِ الخفاءِ؛ لاستلزمَ ذلك الخفاء في بعض الأزمنةِ، وهذا غيرُ مرادٍ قطعًا.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 128.

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنكُمْ﴾:

شـدَّةُ التَّخويف وقوَّة التَّرهيبِ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿مِنكُمْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾؛ لإفادَةِ الاهتمامِ بالمقدَّمِ مراعاةً لمقام الخِطابِ، فهُم المقصودونَ بنفي الخفاءِ عَنْهم وعن أعمالِهم، فيكون هذا أشدَّ في التَّرهيبِ وأبلغَ في التَّخويفِ.

نُكْتَةُ تنكير ﴿خَافِيَةٌ﴾:

بيانُ سَعَةِ عِلْمِ اللهِ تَعالى

نُكِّرَ لفظُ ﴿خَافِيَةٌ﴾ مِنْ قول الله سُبحانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لإفادةِ العمومِ؛ لورودها في سياق النَّفْيِ ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾، فلا يخفى على اللهِ تَعالى شيءٌ أيًّا كانَ، صغيرًا كان أو كبيرًا، ظاهرًا أو باطنًا، جليلًا أو دقيقًا، وفي هذا إبرازٌ لسعَةِ عِلْمِ اللهِ سُبحانَهُ بكلِّ شيءٍ.

علَّة تأنيث لفظ ﴿خَافِيَةٌ﴾ في النَّظم:

لا مستورَ يومَ القيامَةِ، فكلُّ نفسٍ وأثَرٍ ظاهِرٌ للعَدْلِ الإلهيِّ

تأنيثُ لفظِ ﴿خَافِيَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ راجِعٌ إلى أنَّ الموصوف بها مقدَّر بشيءٍ مؤنَّث، هوَ (فِعلة)، أي: من أفعال العباد، أو يُقدَّر بـ(نفْس)، والمعنى: لا تخفى منكم فِعلةٌ خافيةٌ، أو نفسٌ خافيةٌ، فلا يوجَدُ شيءٌ يستَتِرُ عن علم الله تعالى؛ بحيث لا يلتَبِسُ كافِرٌ بمؤمن، ولا بارٌّ بفاجر، وكلُّ أحد يُكشَف على حقيقته[1].

بلاغة الجِناس في ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾:

تـوكـيـدُ المعنى وترسيخُهُ

في قول الله تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ جناسُ الاشتقاقِ بين ﴿تَخْفَىٰ﴾ و﴿خَافِيَةٌ﴾، وهذا التَّقاربُ في اللَّفْظِ يُحقِّقُ توكيدًا للمعنى وترسيخًا لَهُ؛ إذ يُظْهِرُ أنَّ الخفاءَ بجميع صوَرِهِ مُحالٌ، فلا يوجَدُ شيءٌ ممّا مِن شأنِهِ أن يخفى إلّا وهو مكشوفٌ ظاهِرٌ.

بلاغة تَكرار لفظ (يومئذٍ) وأثرُهُ في النَّظم:

كُرِّر لفظُ (يومئذٍ) أربعَ مراتٍ في هذا المقطع من السّورة:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 129.

تكرار (يومئذٍ) يفتح مشاهدَ القيامَةِ مشهدًا مَشهدًا؛ لتستيقظَ القلوبُ مِن غَفْلَتِها

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، وفي قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، وقد تكرَّر هذا اللَّفْظُ بعدَ ذِكْرِ زمانِ النَّفخِ في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾، والمقصودُ به التَّهويل والتَّفخيم لذلك اليومِ العَظيم، الذي يبدأ بالنَّفخ في الصّور، ثُمَّ يتتابَعُ فيه ما ذُكِرَ مِن أهوالٍ: حَمْلِ الأرضِ والجبال ودكِّهما، وانشقاق السَّماء، وظهور الملائكةِ، وحَمْل العرشِ، والوقوف للحسابِ، فجاء كلُّ تكرارٍ لـ (يومئذٍ)؛ للتَّركيزِ على مشهَدٍ مهيب بعَيْنِه، ويجعَلُ المُتَلَقّيَ كأنَّه ينتقل مِن هولٍ إلى آخرَ، ومِن مشهَدٍ إلى آخرَ؛ ليَعْظُمَ بذلكَ أثرُ اليومِ في النُّفوس[1].

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ في ﴿تَخْفَىٰ﴾:

تذكيرُ الفعل وتأنيثُه مع مجازيِّ التَّأنيث

قرأ جمهور القرّاء ﴿تَخْفَىٰ﴾ بتاءٍ في أوَّلِه على التَّأنيث، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ العاشرُ (يَخْفى) بالياءِ على التَّذكير[2]، وتذكيرُ الفعل وتأنيثه ههنا جائزٌ؛ لأنَّ تأنيثَ الفاعِلِ - وهوَ هنا ﴿خَافِيَةٌ﴾ - مجازيٌّ غيرُ حقيقيٍّ، ثُمَّ هو مفصولٌ من الفعل بالجارِّ والمجرور ﴿مِنكُمْ﴾، وكلُّ واحدٍ مِنْ هَذَيْن كافٍ في إجازَةِ الوجهَيْنِ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 129.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 398.
(3) محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر: 3/ 297.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"